



جامعة المنصورة

كلية الآداب

# منشور نابليون بونابرت للمصريين عام ١٧٩٨م

« دراسة حضارية »

دكتور

ناجى عبد الباسط هدهود

المدرس بقسم الحضارات الآسيوية

معهد الدراسات والبحوث الآسيوية - جامعة الزقازيق

مجلة كلية الآداب - جامعة المنصورة

العدد السادس والثلاثين - يناير ٢٠٠٥



# منشور نابليون بونابرت

للمصريين عام ١٧٩٨م

دكتور

تاجي عبد الباسط هدهود

## مقدمة

قال الفيلسوف والمؤرخ اليوناني الشهير "هيرودوت" عند زيارته لمصر عام ٤٥٠ قبل الميلاد قولته الشهيرة التي تداولتها الألسنة والأقلام بأن " مصر هبة النيل " أي أن نهر النيل واهب الحياة لمصر فصارت أكثر الحضارات الإنسانية ازدهاراً وأقدمها أصالة خلال آلاف السنين.

ولكن المؤرخ البريطاني المعاصر والذي عاش معظم سنوات عمره في القرن العشرين الميلادي ، " أرنولد توينبي " Arnold Toynbee ، قال : معلقاً علي مقولة " هيرودوت" بأنه مع الاعتراف بأهمية مياه الأنهار في إقامة حياة بشرية مستقرة علي الزراعة وأن الاستقرار أول أسس الحضارة ، إلا أن الفضل الأول في بناء الحضارة المصرية المزدهرة يرجع إلي الإنسان المصري. وساق " أرنولد توينبي" الأمثلة علي صحة كلامه بوجود أنهار في أفريقيا وفي آسيا وفي الأمريكتين بل وفي أوربا لم تقم علي ضفافها حضارة مماثلة للحضارة التي بناها المصريون علي ضفاف نهر النيل ، فهناك في أفريقيا نهر النيجر ونهر الكونغو ، ونهر الزمبيزي ، وهناك في آسيا أنهار في الهند وفي وسط آسيا ، وهناك في الأمريكتين نهر المسيسيبي ونهر الأمازون ، وهناك في أوربا نهر الدانوب ونهر الراين وكلها قامت علي ضفافها حضارات بعضها ازدهر ثم اندثر ، وبعضها متواضع ، وعلي العموم فإن الحضارة المصرية التي قامت علي ضفاف نهر النيل مازالت باقية الآثار حتي الآن بفضل الله ثم بفضل جهود المصريين.

ويؤكد أرنولد توينبي أن المجتمع المصري مجتمع فذ للغاية ، انبعث في الجزء الأسفل من وادي النيل في غضون الألف سنة الرابعة قبل الميلاد ، وانقضي

في القرن الخامس الميلادي بعد أن ظل باقيا - من بدنه إلى نهايته - ثلاثة أمثال عمر المجتمع الغربي منذ قيامه حتي الآن . ولم يكن للمجتمع المصري آباء ولم يخلف ذرية ، ولا يجوز لأي مجتمع حالي أن يدعي الانتساب إليه . وهذا مما يزيد من شأن انتصار فكرة الخلود التي رنا إليها المجتمع المصري وحققها علي الصخر. (١)

ومصر السياسية هي تاريخياً وادي النيل من الشلال حتي البحرو أي أنها جغرافياً مجموع السهل الفيضي الرسوبي للصعيد والدلتا . وكان المصريون القدماء علي وعي عميق بهذه الحقيقة ، وعبروا عنها تعبيراً حاسماً في نص فرعوني منقوش . يقول : كل بلاد يغمرها النيل في فيضانه هي من مصر وكل من يشرب من ماء هذا النيل تحت جزر الفاننتين فهو مصري. (٢)

---

(١) أرنولد توينبي : دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد شبل، جامعة القاهرة، ١٩٦٦، ص ٥١.  
Arnold Toynbee : Mankind and Mother Earth - London ١٩٧٨/p.٥٦-٧٦

(٢) جمال حمدان : شخصية مصر ، دراسة في عبقرية المكان ، القاهرة، ١٩٨١، المجلد الثاني، ص ٤٥٧.

وإن تكن الوحدة الطبيعية أخص خصائص الوطن السياسي المصري كقطعة من الأرض ، فإن الوحدة الوطنية هي بلا ريب أبرز ملامح المجتمع السياسي الذي احتواه ذلك الوطن عبر العصور كقطعة من البشرية ، ومن جماع ومجموع هاتين الخاصتين : الوحدة الطبيعية والوحدة الوطنية جاءت وحدة مصر السياسية فمن الوحدة الإثنية إلى الوحدة الدينية إلى الوحدة اللغوية إلى الوحدة السيكولوجية جاء تطور الوحدة الوطنية. (١)

وهكذا كانت شخصية مصر بموقعها الجغرافي ونيلها وشعبها الواحد المتحد عبر العصور التاريخية لينطلق في العصر الحديث في إقامة حضارة مزدهرة علي أرض مصر ، وهو شعب استوعب جميع الثقافات الوافدة عليه وصهرها ومصرها. وقد حاول أعداء الشخصية المصرية إشاعة أن المصري فروعني وليس عربيا إسلامياً، أو أن المصري منعزل عن العالم المحيط به والعالم الخارجي ، ولكن الواقع والحقيقة أن المصري بشخصيته قد هضم جميع الثقافات الوافدة وأصبح هو نتاجاً لامتزاج هذه الثقافات وفيه توحدت الأعراق الوافدة علي مصر.

ومصر بعد الحملة الفرنسية أصبحت مختلفة من عدة نواحي خاصة الثقافية والاجتماعية بل والسياسية. فقد عاشت مصر حوالي ثلاثة فرعونى تحت الحكم العثماني المملوكي من عام ١٥١٧م حتي عام ١٧٩٨م، حيث كان للبكوات المماليك أثناء تلك الفترة دور الشريك في الحكم يضعف حيناً ويقوي أحياناً وفي الوقت الذي تقوي فيه سلطة الباشا العثماني ورجاله يضعف دور البكوات المماليك، وفي الأوقات - وهي كثيرة - التي تضعف فيها سلطة الباشا العثماني وأوجاقاته تقوي وتشتد سلطة البكوات المماليك بحيث يصبح كبيرهم شيخ البلد زعيماً حقيقياً لمصر ، ولعل تاريخ علي بك الكبير خير دليل علي ذلك.

(١) جمال حمدان : المرجع السابق، ص: ٥٠٧.

وقد تعرضت مصر لأزمة اقتصادية نتجت أساساً من تحول طريق التجارة بين أوروبا والشرق إلى طريق رأس الرجاء الصالح الذي اكتشفه الملاح البرتغالي فاسكو دي جاما عام ١٤٩٨م حيث حرمت مصر من مرور التجارة بين الشرق وأوروبا وتأثرت موانئ الإسكندرية والسويس من مكاسب مادية كبيرة ، بسبب انتقال المركز التجاري العالمي من حوض البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي.

وبالنسبة للنواحي العلمية والحضارية فقد شهدت فترة الحكم العثماني انحطاطاً في الصناعة والآثار بالمقارنة بما كان في عهد سلطنة المماليك كما صار العلم قاصراً على ما كان يعلم بالأزهر من دراسة للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والعلوم العربية والشرعية والمنطق والجدل - وعلم الكلام - ولم يكن هناك علماء مبتكرون ، وصارت كل قوتهم متمثلة في مكانتهم الأدبية والاجتماعية بين الناس ، وفي الدفاع عن حقوق الأهالي ضد مظالم البكوات المماليك والسلطات العثمانية. (١)

كانت هذه أحوال مصر عند مجيء الحملة الفرنسية على مصر. مع ضعف الحكم العثماني ، وانشغال المماليك بصراعاتهم حول منصب شيخ البلد ومنصب أمير الحج وسوء أحوال الأهالي.

---

(١) وكان ذلك بسبب ما شاب نظام الحكم العثماني من سلبيات مثل فهم العثمانيين القاصر لوظائف الدولة ومسئولياتها نحو رعاياها ، ذلك الفهم الذي كان يقوم على أن مهمة الدولة تقتصر على ثلاثة أمور فقط هي : الدفاع عن الولايات ، وتحصيل الأموال الأميرية ، وإقامة نظام قضائي ، أما أمور التعلم والصحة وبقية الخدمات فقد تركتها الدولة لأهالي الولايات يديرونها حسب عاداتهم . إلى جانب نظرة العثمانيين إلى المجتمع وتقسيمه إلى طبقتين متميزتين : الطبقة الحاكمة التركية ، والرعايا العرب . بالإضافة إلى الرجعية وعدم التجديد التي اتسم بها الحكم العثماني ، وسوء الإدارة العثمانية وفرض العزلة على الوطن العربي .

رأفت غنيمي الشبخ : تاريخ العرب الحديث ، دار عين للدراسات ، القاهرة ، ٢٠٠٥م ، ص ٤١-٤٤ .  
وقد ساعد على سلبية الحكم العثماني في المجتمعات العربية أن العثمانيين لم يكن لهم رصيد حضارى يثمنه للحياة العلمية في مصر وفي غيرها من الولايات العربية ، فلم يتعلم المصريون وغيرهم من العرب ، اللغة التركية ، ولم يدخلوا اللغة التركية في الكتاتيب .

محمد أنيس : أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة . ج-٣ ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ١٠٧٨ .

## أسباب وأحداث الحملة

نابليون :

ارتبطت الحملة الفرنسية علي مصر بشخص نابليون بونابرت الضابط الفرنسي الذي ذاعت شهرته بانتصاره علي النمسا بعد أن اجتاز جبال الألب وفرض علي النمساويين صلح "كامبو فورميو" في عام ١٧٩٧م ، وحصل فيه - من بين ما حصل - علي جزائر "الأيونيان" حتي تتخذ منها فرنسا قواعد تجارية بحرية تبني عليها تفوقها في البحر المتوسط وتكون لها بمثابة محطات ذات شأن في طريق فرنسا إلي الشرق.

كما ارتبطت الحملة الفرنسية علي مصر بفترة حكم " المديرين الخمسة " أو " حكومة الإدارة " في فرنسا التي قامت علي أساس دستور عام ١٧٩٥م بعد فترة الإرهاب ، وقد كتب " تاليران " أحد أعضاء حكومة الإدارة إلي نابليون في أغسطس ١٧٩٧م يؤيد خطته في الشرق ويقول : يجب أن تكون علاقاتنا ودية مع ألبانيا واليونان ومقنونيا وجميع ولايات الدولة العثمانية في الشرق بل مع جميع الشعوب التي تطل علي البحر المتوسط وخاصة مصر التي قد تصير يوماً ما ذات منفعة عظيمة لفرنسا.

ومنذ ذلك الوقت أخذ نابليون يدرس ويبحث في أمر الحملة علي مصر وجعل ينقب في سجلات وزارة الخارجية بمعاونة "تاليران" باحثاً عن التقارير والخرائط والمشروعات التي قدمت للحكومة في القرنين الماضيين بخصوص تطلعات فرنسا نحو مصر.

خاصة أن نابليون بعد انتصاره علي النمسا وفرض صلح "كامبيو فورميو" عليها لقي كل احترام من الشعب الفرنسي وحكومة الإدارة ، حتي إذا عاد إلي

باريس يوم ١٠ ديسمبر ١٧٩٧م شعر - كما قال - بأنه لم يعد قادراً علي تلقي الأوامر بعد اليوم من غيره ، وأخذ يكتب في الصحف موضحاً رأيه لمواجهة الأخطار الخارجية وللإستفادة من الظروف الدولية ، فتسني له بفضل هذا كله أن يجذب إليه اهتمام الرأي العام.<sup>(١)</sup>

وترجع أسباب الحملة الفرنسية علي مصر إلي ما يلي :

١- مهاجمة بريطانيا في الشرق وقطع الطريق بينها وبين مستعمراتها في الشرق، ذلك أنه بعد صلح "كامبيو فورميو" بين النمسا والجمهورية الفرنسية لم يبق من أعداء فرنسا سوي بريطانيا، وقد حاول الطرفان عبثاً الوصول إلي حل حاسم أو إبرام صلح يرضيهما معاً ، ومن ثم اتجهت أنظار فرنسا منذ عام ١٧٩٧م إلي غزو مصر لضرب المضالح البريطانية في الهند ، خاصة بعد أن فشلت فرنسا في قهر بريطانيا بسبب السيادة البحرية للأسطول البريطاني.

---

(١) نصر دستور عام ١٧٩٥م علي تشكيل هيئة تنفيذية عرفت بحكومة المديرين الخمسة أو حكومة الإدارة Directoire تنتخبهم الهيئة التشريعية ، يرأسون الحكومة بالتناوب لكل عضو منهم ثلاثة شهور ويسقط واحد منهم سنوياً بالاقتراع ، ولهم ستة وزراء ليسوا سوي رؤساء مصالح فقط . وبعد عقد صلح "كامبيو فورميو" بين النمسا والجمهورية الفرنسية في ٧ أكتوبر عام ١٧٩٧م بعد انتصار الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال نابليون بوناپرت علي الجيش النمساوي، أصدرت حكومة الإدارة أوامرها للجنرال بوناپرت لإعداد حملة عسكرية لغزو مصر في ١٢ أبريل ١٧٩٨م، وفتح طريق السويس والاستيلاء علي مواني البحر الأحمر وضمها لحكومة الجمهورية الفرنسية.



٢- تكوين مستعمرة في الشرق يكون قلبها مصر لتعويض فرنسا عما فقدته من مستعمرات في حروبها الأوربية خلال القرن الثامن عشر.

٣- فتح ميادين جديدة لتجارة فرنسا في مصر وسواحل البحر المتوسط وفي بلاد الشرق بصفة عامة عبر مصر - وقد قال تاليران : بالاستيلاء علي مصر نستطيع القيام بخمس رحلات مقابل ثلاث بالطريق المعتاد حول رأس الرجاء الصالح.

٤- كشف مصر علميا والتعرف علي كنوزها الأثرية وإمكاناتها الحضارية وتسجيل تقارير علمية عن أحوال مصر الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية . ومن أجل هذا حضر بصحبة قوات الحملة إلي مصر أكثر من مائة عالم من كبار علماء فرنسا للقيام بأعمال البحث والتنقيب والإنشاء مما دعا المؤرخين إلي القول بأن الحملة الفرنسية علي مصر كانت علمية أكثر منها حربية. (١)

٥- ادعت فرنسا أنها تهدف من حملتها علي مصر تأديب المماليك والاقتصاص منهم بسبب ما وقع للتجار والرعايا الفرنسيين في مصر من مظالم واضطهاد ومصادرة في عهد كل من إبراهيم بك ومراد بك ربما دعا القنصل الفرنسي "مجالون" أن يرسل الشكوي تلو الشكوي إلي حكومته.

(١) تتمثل أسباب الحملة الفرنسية علي مصر في عدة عوامل متتالية منها : الثورة الصناعية التي انطلقت أولاً علي يد الإنجليز ثم انتشرت في بقية الدول الأوربية، ومنها الثورة الفرنسية بما تضمنته من مبادئ سياسية وإنسانية واجتماعية أوربية وعالمية، ومواجهة التفوق الإنجليزي البحري حيث حال بحر المانش وتفوق الأسطول الإنجليزي دون نقل المعركة إلي قلب الجزر البريطانية ، فدعا نابليون بونابرت - وكان حينئذ أحد كبار القواد المنتصرين والمكلف بهزيمة إنجلترا في عقر دارها - إلي توجيه حملة إلي مصر لتصبح مستعمرة قاعدة لإمبراطورية فرنسية علي حساب شعوب الشرق والدولة العثمانية وعلي حساب الإمبراطورية البريطانية وغيرها ، فلقبت الفكرة قبولا لدي حكومة الإدارة الفرنسية ، وأعلنت نابليون بونابرت حق تشكيل هذه الحملة من قوات برية وبحرية ، ولكن الجديد هنا هو اختياره لعدد من العلماء في مختلف التخصصات للعمل مع الحملة للإفادة إلي أقصى حد من حضارة مصر في تحقيق مشروعه الاستعماري الإمبراطوري.

- عبد العزيز نوار : النهضة العربية الحديثة : حركة علي بك الكبير، التناقص الاستعماري ، الحملة الفرنسية علي مصر - صعود الدولة السعودية الأولى - دار عين للدراسات ، القاهرة ، ٢٠٠٢م، ص ١٠٣.

٦- ادعت فرنسا عقب قيام الحملة ووصولها مصر أن المماليك قد عصوا الباب العالي واستقلوا بالبلاد وعاثوا فيها فساداً غير مراعين في ذلك حقوق السلطان . ولما كانت فرنسا أقدم حليف للدولة العثمانية رأت حكومة الجمهورية الفرنسية مساعدة الباب العالي بالقضاء علي فئة المماليك وتوطيد نفوذ السلطان بمصر . وقد سعت حكومة الإدارة في إقناع الباب العالي بهذا الغرض بكل الطرق فلم تغلق ، وسرعان ما أدرك السلطان العثماني أغراض فرنسا فاتحد مع أعدائها.(١)

### أحداث الحملة :

وبالنسبة لأحداث الحملة الفرنسية علي مصر ، فقد أصدرت حكومة الإدارة في ١٢ أبريل عام ١٧٩٨ أمراً إلي الجنرال نابليون بغزو مصر وفتح طريق السويس والاستيلاء علي مواني البحر الأحمر وضمها لحكومة الجمهورية الفرنسية . وفي ١٩ مايو خرجت الحملة من ميناء طولون بجنوب فرنسا ، واستولت علي جزيرة مالطة، ثم أبحرت إلي الإسكندرية ، ولما سقطت المدينة في يد الفرنسيين زحفت الجنود الفرنسية إلي القاهرة ، وبعد قتال عنيف في مدن الرحمانية وشبراخيت وإمبابة ، استولي نابليون علي العاصمة المصرية . غير أن البريطانيين الذين رأوا في استيلاء نابليون علي مصر خطراً عظيماً يهدد مصالحهم في الشرق تعقبوا الحملة وفاجئوا القوات البحرية الفرنسية المرابطة في خليج أبي قير حيث حطموا سفن الأسطول الفرنسي، وقطعوا بذلك طريق الاتصال بين فرنسا وجيش الحملة الفرنسية المعروف بجيش الشرق .

(١) وكان نابليون بونابرت علي بينه جيدة بحضارة مصر الفرعونية التي ترددت فيما رواه الرحالة الفرنسيون عن مصر في مؤلفاتهم ، إلا أنه لم يكن يسمي لأن يكون فرعوناً ولا سلطاناً علي مصر وما حولها ، وإنما كان يتطلع إلي ما هو أعظم من المملكة التي بلغها الاسكندر الأكبر الذي غزت حضارته بقوة المنطقة حتي السند في الهند ، ومع ما يحيط هذه المقولة من جنل وأخذ ورفض لها فأبنا نري أن نابليون بونابرت تجمعت فيه عناصر الشرق والغرب الحضارية حتي جعلته هو محصلتها في التاريخ الحديث .

كما أن ثورات المصريين بقيادة علماء الأزهر ضد الوجود الفرنسي في مصر قد أقلق الفرنسيين وعطل إلي حد كبير مشروعات نابليون وخلفائه في قيادة الحملة في تكوين مستعمرة في الشرق تكون مصر مركزها ، فقد شهدت القاهرة ما عرفت بثورة القاهرة الأولى أثناء قيادة نابليون للحملة، وثورة القاهرة الثانية أثناء قيادة كليبر للحملة ، إلي جانب ثورات الأقاليم ضد الفرنسيين.

وعندما فشل نابليون في اقتحام حصن عكا بسبب التحالف العثماني البريطاني تراجع إلي مصر وسافر سراً إلي فرنسا حينما بلغته الأخبار بسوء الحال في فرنسا بسبب تجمع التحالف الأوربي ضدها. وبعد سفر نابليون ترك قيادة الحملة للجنرال "كليبر" الذي تم اغتياله علي يد الطالب الأزهري السوري الأصل "سليمان الحلبي" ومن ثم تولي "مينو" قيادة الحملة الذي أسلم وتسمي باسم "عبد الله جاك مينو" الذي اضطر إلي الرحيل بجنوده من مصر بعد الاتفاق مع بريطانيا ، في شهر سبتمبر ١٨٠١م. (١)

(١) ويلاحظ أن نابليون بونابرت أكد عند نزوله إلي الاسكندرية أن السلطان العثماني صديق تقليدي للفرنسيين، ولكنه في نفس الوقت لم يشير إلي حق السيادة العثمانية علي مصر، وهذا الاتجاه كان بونابرت يعتقد أنه كفيل بأن يؤدي إلي أن يتقبل المصريون كلام منشور بونابرت للمصريين ، علي اعتبار أن تحركات الفرنسيين تحتفظ بحق السيادة العثمانية علي البلاد، وهو أمر بالغ الأهمية نظراً لما كان عليه الشعب المصري من ولاء ديني وسياسي للسلطان العثماني.

عبد العزيز نوار : المرجع السابق، ص ص ١٠٣-١٠٤.

## تأثيرات الحملة الفرنسية

عول نابليون قبل أن تطأ قدمه وأقدام جيوشه أرض مصر التحبب إلى الشعب المصري والتقريب بين المصريين والفرنسيين ، فكان يشترك في الحفلات الوطنية والدينية مثل حفل فتح الخليج المصري، وإحياء المولد النبوي الشريف، وكان يعلن أنه مسلم وموحد بالله، وكان يرتدي الزي الأزهرى في مثل هذه الاحتفالات الدينية وتسمى باسم " علي بونايرته باشا" وكان يستعمل اللغة العربية في منشوراته للمصريين، ويظهر الاحترام للدين الإسلامي والقرآن الكريم والرسل وخاصة سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، ويكثر من الاستشهاد بالقرآن الكريم ، وإعلان رغبته أمام العلماء في تحويل الفرنسيين إلى الإسلام ، وبناء المساجد ، حتى يبرهن بذلك للمصريين أنه لا يقل عن العثمانيين أو المماليك غيرة علي خدمة الدين واحترام عادات البلاد وأهل العلم بها.

كما عمل علي إشراك العناصر الوطنية مع الفرنسيين في الحكم لأول مرة في تاريخ مصر الحديث . إذ أصدر مرسوماً بعد دخوله القاهرة يقضي بتشكيل ديوان وطني يساعد الحاكم العسكري في الحكم يتكون من تسعة أعضاء من علماء الأزهر الشريف وعاشرهم سكرتيراً للمجلس أو الديوان، وانتخب الشيخ عبد الله الشرقاوي رئيساً للديوان، والشيخ المهدي سكرتيراً، ويجتمع الديوان كل يوم للنظر في مهام الأمور . وقد عين نابليون حكاماً عسكريين للقاهرة والأقاليم وأمر بتشكيل ديوان وطني لكل إقليم علي نسق ديوان القاهرة يتكون من سبعة أعضاء ويعاون الحكام الفرنسيين في حكومة الإقليم.

ولا شك أن اشتراك المصريين في حكم بلادهم من خلال ديوان القاهرة ودولوين الأقاليم قد أكسبهم مرانا علي الحكم والإدارة أفادهم بعد ذلك عندما جلت الحملة الفرنسية علي مصر وعودة الحكم العثماني.<sup>(١)</sup>

(١) روبرت سوليه: ولع فرنسي. ترجمة لطيف فرج. الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٩٩م من ٣٥-٤٤.

## مناقشة المنشور

جاء تاريخ المنشور ١٧ محرم ١٢١٣هـ الموافق أول يوليو ١٧٩٨م، الموافق ١٣ مسيدور السنة السادسة بتقويم الثورة الفرنسية<sup>(١)</sup>، وبدأ المنشور : بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك في ملكه . وهو الاستهلال الذي تبدأ به كتب المسلمين لبعضهم البعض.

ثم يذكر أن هذا المنشور يمثل " الجمهور الفرنسي" يعني الجمهورية الفرنسية بعد إنهاء الملكية الفرنسية وإعلان الجمهورية هناك في عام ١٧٩٢م، وقوله : المبني علي أساس الحرية والتسوية" يعني بذلك شعار الثورة الفرنسية الثلاثي : الحرية والإخاء والمساواة" وقوله : " السر عسكر الكبير بونا برته أمير الجيوش الفرنسية، يفسر أن هذا المنشور صادر من قائد عام الحملة الفرنسية علي مصر.

ثم انتقل المنشور لوصف الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر في ظل الحكم العثماني المملوكي ، فيقول : أن من زمان مديد السناجق - الذين يتسلطون في البلاد المصرية - يتعاملوا بالذل والاحتقار في حق الملة الفرنسية ويظلموا تجارها بأنواع البلبص والتعدي. أي أنه يشير إلي البكوات المماليك المتسلطين علي الأمور في مصر ويستخدمون أساليب المصادرة والنهب من الجالية الفرنسية وتجارها المقيمين بمصر.<sup>(١)</sup>

(١) اتخذ تقويم جديد لفرنسا بوحى من جماعة الهيريين المتطرفة في عصر الإرهاب ، يبدأ التقويم بإعلان الجمهورية في ٢٢ سبتمبر ١٧٩٢م، حيث قسمت السنة إلي ١٢ شهراً متساوية بأسماء جديدة ، وسميت الأيام بأسماء جديدة أيضا وتم إلغاء نظام الأسابيع ، وقسم كل شهر إلي ثلاثة أقسام متساوية ، تسعة أيام ويوم راحة ، وأيام الشهر ثلاثين يوماً ترتيبها عددي مثل : اليوم الأول ، اليوم الثاني حتي الثلاثين ، وفي نهاية السنة تضاف خمسة أيام مكملة سميت أيام "المان كيلوتيين Sanso-Culootes ، ومن أسماء الشهور الجديدة : ترميدور أي شهر الحر ، فركتيدور أي شهر التمر ، فلوريل أي شهر الأزهار ، بريريل أي شهر المراعي ، مسيدور.

(٢) قام النظام العثماني لحكم مصر علي مبدأ توزيع السلطة العليا بين ثلاث أطراف هي : الوالي أو الباشا ، والأوجاقات العثمانية ( أي قادة الفرق العسكرية العثمانية ، والمصبية المملوكية ، وقد سمح نظام الحكم العثماني للبكوات المماليك تقلد وظائف السناجق (الصناجق) أي المديرية التي انقسمت إليها القطر المصري ، ووظائف الكشاف أي حكام المراكز التي تنقسم إليها كل صنجقية ، وكان للبكوات المماليك زعيم يدعى " شيخ البلد" يتنافس البكوات المماليك للوصول إلي هذا المنصب.

رأفت غنيمي الشبخ : تاريخ العرب الحديث ، دار عين شمس ، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٣٦-٣٧.

ويواصل بونابرت في منشوره الهجوم علي البكوات المماليك في مصر ومظالمهم ، ويستعيد أصل هؤلاء المماليك "المجلوبين من جبال الألبازا والكرجستان، <sup>(١)</sup> الذين يظلموا سكان مصر أحسن بلاد الدنيا.

ثم يخاطب المصريين محاولاً كسب ودهم بقوله : قد يقولوا أنني ما نزلت في هذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم . فذلك كذب فلا تصدقوه ، وأنني أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه محمد والقرآن العظيم ، وقولوا أيضاً لهم أن جميع الناس متساوين عند الله ، وأن الشيء الذي يفرقهم من بعضهم بعضاً فهو العقل والفضائل والعلوم فقط..."

ويعود المنشور ليهاجم المماليك في قوله : ما العقل والفضائل والمعرفة التي تميزهم عن الآخرين ، وتستوجب أنهم يملكوا وحدهم كلما يحلو به حياة الدنيا ، حينما يوجد أرض مخصصة فهي مخصصة للمماليك ، والجواري الأجمل والخيل الأحسن والمساكن الأشهي فهذا كله لهم خاصة " .. وكانت بمصر المدن العظيمة والخلجان الواسعة ، والمتجر المتكاثر ، أزال كل ذلك طمع المماليك وظلمهم.

وناقش المنشور كذلك إدعاء المماليك بأن مصر إقطاعية لهم ورثوها كابر عن كابر منذ أكثر من خمسمائة سنة ، فيذكر : إذا كانت الأرض المصرية إلزاماً للمماليك فليورونا الحجة التي كتبها لهم الله ، ولكن رب العالمين هو رعوف وعادل علي البشر ، بعونه تعالى من اليوم فصاعدا لا يستثنى أحدا من أهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية فالعقلاء والفضلاء والعلماء بينهم سيدبروا الأمور وبذلك يصلح حال الأمة كلها. <sup>(٢)</sup>

(١) يتم شراء المملوك من أسواق الرقيق في الأناضول وبلاد الأنجاز والقوقاز وبلاد الكرج ويأتون إلى مصر حيث يتولى من يشترينهم بتربيتهم تربية إسلامية وعسكرية ليكونوا قوة عصبية لسيدهم ، وهم هنا يتخلون عن الوطن والأسرة والاسم والدين ومن هنا نسمع عنهم أسماء إسلامية دون معرفة آبائهم ، مثل علي بك ، مراد بك ، إبراهيم بك ، إسماعيل بك ، وعندما يصل للمملوك من ١٨ سنة يسمح له سيده بالزواج والإقامة في بيت خاص ويسمح له أيضا شراء مملوك يصبحون جميعاً ملكاً لسيده.

رأفت غنيمي للشيخ : المرجع السابق ، ص ٨٣-٨٤.

(٢) وهنا يشير بونابرت في منشوره إلى ما حدث بعد استقرار الحملة الفرنسية في القاهرة بتشكيل ما عرف بالديوان الذي يترأسه شيخ الأزهر . معه مجموعة من العلماء للمشاركة بالمشورة في تصريف أمور المصريين اليومية.

واضح من الهجوم علي الممالك وتعرية تعاملهم مع المصريين بالظلم بهدف كسب ود المصريين ووقوفهم مع الجانب الفرنسي في غزو الحملة لمصر ، ويأملون عدم مقاومة المصريين لقدم الحملة الفرنسية التي جاءت لإنهاء سيطرة وظلم الممالك للمصريين.

وينتقل المنشور لمخاطبة مشايخ وعلماء مصر وأعيانها وتجارها لاستمالتهم بقوله : قولوا لأمتكم - شعب مصر - أن الفرنسية هم أيضا مسلمين خالصين ، وإثباتا لذلك أنهم - أي الفرنسيين - قد نزلوا في رومية الكبرى وخربوا فيها كرسي البابا الذي كان يحث دائما النصاري علي محاربة الإسلام ، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردها منها الكوالرية الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين .. ومع ذلك فإن الفرنسية في كل وقت صاروا المحبين المخلصين لحضرة السلطان العثماني وأعداء أعدائه... (١)

وجاءت تعليمات بونايرت في منشوره للمصريين من خلال خمس مواد هي :

**المادة الأولى :** جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة بثلاث ساعات عن المواضع التي يمر بها العسكر الفرنسي فواجب عليها أنها ترسل للعسكر بعض وكلاء من عندها لكيما يعرفوا المشار إليه أنهم طاعوا وأنهم نصبوا السنجاق الفرنسي الذي هو أبيض وكحلي وأحمر. (٢)

---

(١) إدعاء بونايرت بأن الفرنسيين مسلمين مخلصين للإسلام إدعاء غير حقيقي بطبيعة الحال ، حتي ولو أعطي مثلا علي إسلام الفرنسيين بأن الجيوش الفرنسية غزت إيطاليا وسيطرت عليها ، وتم اعتقال البابا في روما بسبب معارضته للثلاثون المدني الكنسي الفرنسي الذي جعل رجال الدين الفرنسيين موظفين مدنيين يخضعون لسلطة الثورة الفرنسية ولا يخضعون لسلطة البابا في روما إلي جانب الإشارة إلي أن البابوية كانت وراء ما عرف بالحروب الصليبية ضد البلاد الإسلامية في الشام ومصر وأقطار المغرب العربي. كما أن الإشارة إلي فرسان القديس يوحنا في جزيرة مالطة (الكوالرية) وهم بقايا الصليبيين في فلسطين وطردهم سلاطين الممالك فانتقلوا إلي جزيرة رودس ، ومن هناك طردهم العثمانيون فانتقلوا إلي جزيرة مالطة وتحالفوا مع الحكام الكاثوليك في إسبانيا والبرتغال في مهاجمة أقطار المغرب العربي الإسلامي.

رأفت غنيمي الشبخ : المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٢) يرغب بونايرت في منشوره من جميع القرى التي تبعد عن خط سير الحملة الفرنسية بثلاث ساعات سير أن تعلن ولاءها ويستل ذلك في إرسال مندوبين عن كل قرية إلي قائد عام الحملة أي بونايرت ليؤكدوا له طاعتهم، وأن يرفعوا العلم الفرنسي ذي الألوان الثلاثة : اللون الأبيض ، واللون الكحلي واللون الأحمر ، وهو علم الثورة الفرنسية.

عبد العزيز نوبل : المرجع السابق، ص ص ١٠٥-١٠٦.

وجاءت المادة الثانية لنقول إن كل قرية مصرية تواجه الجيش الفرنسي الزاحف بالقوة وتقاومه سوف تضرر فيها القوات الفرنسية النار لإحراقها. وهو تهديد مباشر بعقاب شديد أما المادة الثالثة فكانت مقابلة للمادة الثانية لأنها سمحت للقرية التي تخضع للوجود الفرنسي ولا تقاومه أن ترفع العلم الفرنسي أو الثلاثة ألوان إلى جانب علم الدولة العثمانية.

وحددت المادة الرابعة لمشايخ كل بلد وظيفتهم بالنسبة للإلتزامات المماليك وممتلكاتهم بأن يحافظوا علي هذه الإلتزامات والأمالك وألا يذهب منها شيء للمماليك.<sup>(١)</sup>

وجاءت المادة الخامسة والأخيرة لتحدد لجميع فئات المجتمع المصري دورهم علي النحو الآتي :

- ١- أن يلزم المشايخ والقضاة والأئمة ووظائفهم.
- ٢- أن يلزم كل مواطن مسكنه.
- ٣- استمرار الصلاة في المساجد.
- ٤- أن يتقدم جميع المصريين بالشكر لله سبحانه وتعالى لإنقضاء دولة المماليك ، ويرددون الدعاء لله سبحانه وتعالى لإدامة إجلال السلطان العثماني ، وإدامة إجلال العسكر الفرنسي ، ولعن الله المماليك ، وأصلح الله حال الأمة المصرية.<sup>(٢)</sup>

---

(١) كان نظام الإلتزام معمولاً به في مصر أثناء الحكم العثماني المملوكي ، وكان لكبار البكوات المماليك الإلتزام إقطاعيات تشمل قرى بكاملها بل وأكثر من قرية ، وكانوا يغالون في تحصيل الأموال من الفلاحين المقيمين بهذه المقاطعات . ومن ثم حرص بونابرت في منشوره علي ضبط هذه الإلتزامات ليعود عائداً إلى الحكم الفرنسي الجديد.

محسن شومان : المقاطعات الحضرية في مصر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، ١٩٩٠م.

(٢) حاول بونابرت في منشوره تهيئة الهدوء في جميع أنحاء مصر ، فإذا قام المشايخ في عملهم بالأزهر ، وقام القضاة بوظيفتهم في إقامة العدل بين الناس ، وإذا قام أئمة المساجد بعملهم في إقامة شعائر الصلاة والإرشاد ، فإن الناس سيتأثرون بهم ويلتزمون منازلهم ولا يقاومون الوجود الفرنسي . كما أنه يعرف مني تدين المصريين وعليهم الدعاء لله سبحانه وتعالى بالنصر للفرنسيين والهلاك للمماليك ، ولا مانع من الدعاء لله سبحانه وتعالى بدوام السلطان العثماني.

عبد العزيز نوار : المرجع السابق ، ص ١٠٤.



## ملاحق البحث

- ١- أصل منشور نابليون بونابرت باللغة العربية.
- ٢- المنشور بلغته الفرنسية.



يا رحمن الرحيم لا اله الا انت لا وعد له ولا شريك في ملكه

الذين ومع ذلك الغنائم فيه شيء من وقت من الأوقات، ما رأوا  
الذين أخذوا من بطورة إلى سلطان العساقين وأعداءنا في أدم  
الله، ليكن في قلبك استغناء من إلهنا السلفين غير  
مستعجلين لأمرنا، فما أماننا لا قطع أنيسهم هـ

طوبى لى العبد الذى لاهمال معر الذنبه ويتلقوا مجنا ولا تأخير فيصلح  
حاليهم ويصلى مراتبهم طوبى ايضا للذين يتعدوا فى مساكنهم  
غير مبالين لاحد من الذين المتعاجزين فاذا عرفونا بالاكفر  
يتسارعوا لينا اكل قلب ٥

لحسن التولييم اليه يول الذين يتخون مع الماليك ويساعدونهم  
في الحرب علينا فما يجدوا طريق للسلام ولا ينعى منهم اكره

## المادة الأولى

جميع الثرى الرائعة في دابرة أربعة بخلة يساعون على المواضع التي يمر بها العسكر الغنائساري، فأوجب عليها أن تدور لدفع رعب بعض رجالنا من عندهما لكجما يعرفوا المشار إليه انهم اماناء وانهم يمدونا

السنباق الغرابي الذي هو أبيض وكبدى وأحمره

### المادة العائبة

مَنْ قَرَّبَهُ إِلَى تَقْدِيمِ عَلَى الْعَسْكَرِ الْفَرَاتِ وَأَوْ تَنْصَرِّقُ بِثَنَانِهِ

### المادة الثالثة

كل قرية التي تطيح لتسكر الفرنسيين الواجب علينا نصب  
للمنجانيق الفرنسيين وابعدنا نصب سبعين السلطان العثماني  
ممن ندادم بقاد

## المادة الرابعة

المشايخ في كل بلد ليختصروا حال جميع الأديان والبشرى وأنتمثلت  
جميع التعاليم وعليهم الاعتماد لأرباب لكلما يصنع أو ناسى منها  
المادة الخامسة

العقوبات والأمن

على كل واحد من اعالي البلد انه يبنى في مسكنه مشيخة في ذلك  
فيكون المصلح قائم في المراح على العبادة والميريس باجمعهم  
شكروا فضل الله سبحانه وتعالى من انقراض دولة المالك فابكم  
سوت على ادم انه اجلس السلطان العثماني ادم اقم اجلس  
عسكر المراسون الى انه المالك واسل حال الامة الغيرة

امیر باد معسكر آگستينيزه في ۱۳ من شهر محبذ ۵۰۰

سُئِلَ مَنْ أَتَاهُ الزُّمَّهَرُ الدُّرُثَانَوِي بِغَى فِي أَوَاخِرِ شَعْرِ حَمَرٍ

١٧١٣

[illegible]

وَالْيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمِينَ قَدْ يَقُولُوا لَكُمْ أَنِّي مَا زِلْتُ فِي هَذَا الْمَدِينِ أُنْجِئُكُمْ وَأُخْلِسُكُمْ فِيكُمْ فَذَلِكَ كَيْفِي مَرِضٍ لَا تَصْدُقُ وَقُولُوا لِلْمُسْلِمِينَ أَنِّي مَا زِلْتُ بِالْكَسْبِ أَنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ خُصَّ حُكْمٌ مِنْ بَدِ الظَّالِمِينَ وَأَنِّي أَحْضَرُ مِنَ الْمُعْتَذِرَاتِ أَعْبَدُ أَهْلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاحْتَرَمُ ذِيهِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْغُرَرِ الْمَعْلُومِ ٥

[illegible]

مـ بما وجد أرض خصيبة فهي تسعة لأماليك والجراري الأجل  
 والجنل المحسن وأنما كان أشقى هذا كله إيماناً  
 أن كانت الأرض المصروا العالم المتسبب في تليوروت الحق التي  
 حكمها لهم أنه. فكان رب العالمين موزناً وعامل على العشر  
 امره تعالى من اليوم فصاعداً لا يستغنى أحدان إيمان مصر  
 العشر في المذهب السامية وعن الغصب المراتب العالية فالعقل  
 والأولاد والعلماء بهم مهدوا الزمان وذلك وصلح حال الأمة  
 حكاه

سأبقي في الخزانة المصرية كانت الشئ الممثلة والمطعم والمطبخات الواقعة  
والتي تعتبر الآن من رعا الله في ذلك إن النظم وتعلم انما عليك

أبنا للعباد واستأجر وأذينة روثاها الثور باحجه وأعبان البلد  
نولوا لا مستنم ان الثور تعاونهم هم اربابا مسلحين خالصين وانما  
اشك فت ولرا في رومية اكبرا وخبروا فيها خبرى انبا الذى كان  
هم دابما النهارا على بحارة الاسنم ثم قصدوا جزيرة ماطه وباردوا  
مينا الكوا لبرية النجى كاذبا بزعموا ان الله تعالى يطلب منهم مغالبة

*(continued)*

“ Au nom de Dieu, clément et miséricordieux. Il n’y a de divinité qu’ Allah; il n’a point de fils et régit sans associé.

“ Au nom de la République française fondée sur la liberté et l’égalité, le général en chef des armées françaises Bonaparte, fait savoir à toute la population de l’Égypte que depuis assez longtemps, les beys qui gouvernent l’Égypte insultent à la nation française et couvrent ses négociants d’avanies : l’heure de leur châtiement est arrivée.

“ Depuis trop longtemps ce ramassis d’esclaves achetés dans le Caucase et en Géorgie tyrannise la plus belle partie du globe. Mais Dieu toutpuissant, maître de l’univers, a ordonné que le font les Mamluks, et que je respecte son prophète Mahomet et l’admirable Coran.

“ Dites-leur que tous les hommes sont égaux devant Dieu; l’intelligence. les vertus et la science mettent seules de la différence entre eux.

“ Or quelle intelligence, quelles vertus, quelles connaissances distinguent les Mamluks, pour qu’ils aient exclusivement tout ce qui rend la vie douce ?

“ Partout où se trouve une terre fertile, elle appartient aux Mamlouks; les plus belles esclaves, les plus beaux chevaux, les plus belles maisons, tout cela appartient aux Mamluks.

“ Si la terre d’Égypte est leur ferme, qu’ils montrent le bail que Dieu leur en a fait. Mais Dieu est juste et miséricordieux pour le peuple. Avec son aide, aucun Égyptien ne sera désormais exclus des grandes charges et tous pourront parvenir aux dignités les plus élevées, les plus intelligents, les plus vertueux les plus savants dirigeront les affaires. Par ce moyen, le peuple sera heureux.

“ Autrefois il y avait en Égypte de grandes villes, de grands canaux, un commerce considérable, qui n’ont cessé d’exister que par l’avarice et la tyrannie des Mamluks.

“ Cadis, cheikhs, imams, tchorbadjis et notable du pays dites au peuple que les Français sont aussi de vrais musulmans. Ce qui le prouve, c’est qu’ils ont été à Rome la grande et ont détruit le trône du Pape, qui excitait sans cesse les chrétiens à faire la guerre aux musulmans’ qu’ils sont allés à l’île de Malte et en ont chassé les chevaliers, qui s’imaginaient que Dieu voulait qu’ils fissent la guerre aux musulmans; qu’en outré les Français se sont montrés dans tous les temps les amis particuliers de Sa Majesté le Sultan Ottoman et les ennemis de ses ennemis, que Dieu fasse durer sa royauté! Les Mamlouks, au contraire, se sont toujours abstenus de lui obéir; ils ne se conforment jamais à ses ordres et ne survent que leurs caprices.

“ Heureux oui heureux, les Égyptiens qui s’uniront promêtement avec nous. Ils prospéreront dans leur fortune et leur rang. Heureux ceux qui resteront dans leurs demeures, sans pencher vers l’un des deux parties qui se font la guerre. Lorsqu’ils nous connaîtront davantage, ils se hâteront de venire à nous de tout leur Coeur.

“ Mais Malheur à ceux qui se joindront aux Mamluks et les aideront à faire la guerre. Il n’y aura pour eux aucune voie de salut et leurs traces seront effacées.

## ARTICLE PREMIER

“ Tous les villages situés dans un rayon de trios heures des endroits où passera l’amée française enverront des dèlègues pour faire connaître au gènèral commandant les troupes qu’ils sont dan’s l’obèissance et le prévenir qu’ils ont arboré le drapeau français qui est blanche, bleu et rouge.

### ARTICLE ٢

“ Tout village qui prendra les armes contre l’armée française sera brûlé.

### ARTICLE ٣

“ Tout village qui se sera soumis à l’armée française mettra avec le pavillon français celui du sultan ottoman, notre ami, que Dieu protège sa durée!

### ARTICLE ٤

“ Dans chaque localité, les cheikhs feront mettre les scellés sur les biens, maisons et propriétés, qui appartiennent aux Mamluks, et approuveront le plus grand soin à ce que rien ne soit détourné.

### ARTICLE ٥

“ Les cheikhs, les cadis, les continueront les fonctions de leurs places. Chaque habitant restera chez lui tranquille. Les prières auront lieu dans les mosquées comme à l’ordinaire. Tous les Égyptiens remercieront Dieu conserve la gloire du sultan ottoman! Que Dieu conserve la gloire de l’armée française! Que Dieu maudisse les Mamluks et rende heureux le sort de la nation “égyptienne!”.

“Écrit au quartier général d’Alexandrie le ١٣ messidor de l’an VI de la République française au fin moharram ١٢١٢ de l’hégire”.

## مصادر البحث

### أولاً الوثائق :

- أ- باللغة العربية : منشور نابليون بونابرت - المركز الثقافي الفرنسي.
- ب- باللغة الفرنسية : منشور نابليون بونابرت - المركز الثقافي الفرنسي.

### ثانياً : المؤلفات :

#### (١) باللغة العربية:

- ١- أرنولد توينبي : دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد شبل ، جامعة القاهرة، ١٩٦٦ ، ٤ أجزاء.
- ٢- د. جمال حمدان : شخصية مصر ، دراسة في عبقرية المكان . القاهرة، ١٩٨١ ، ٤ أجزاء.
- ٣- د. محمد أنيس : أبحاث للندوة الدولية لتاريخ، القاهرة، ٣ أجزاء، ١٩٦٩م.
- ٤- د. عبد العزيز نوار : النهضة العربية الحديثة : حركة علي بك الكبير - التنافس الاستعماري - الحملة الفرنسية علي مصر - صعود للدولة السعودية الأولى ( دار عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- ٥- د. ليلى عنان : الحملة الفرنسية ، تنوير أم تزوير ؟ كتاب الهلال ، القاهرة، ١٩٩٨م.
- ٦- د. رافت غنيمي الشبخ : تاريخ العرب الحديث ، دار عين للدراسات والبحوث ، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- ٧- روبيرت سوليه : مصر ولع فرنسي، ترجمة لطيف فرج. الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ٨- محسن علي شومان : المقاطعات الحضرية في مصر من الفتح العثماني حتي أوائل القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة الزقازيق، ١٩٩٠.

#### (٢) باللغة الأجنبية :

- ٩- Arnold toynbee : Mankind and Mother Earth, London, ١٩٧٨